﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: 2]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تبيان قدرة الله الّذي أنزل القرآن معجزًا من حروف اللّسان

بعد أن بدأ السيّاق بالإشارة إلى الحروف المقطّعة، لتحدّي العرب بالإتيان بشيء من مثل القرآن، ما دام هو مكوّنا من لغتهم ومن الحروف الّتي ينطقون بها وتتركّب منها كلماتهم[1]، شرع في تبيان ألوهيّة الإله الواحد وقيّوميّته العليا، "لأنّه الخالق المسيطر على الكون والنّفوس، ولأنّه مصدر الخير ودافع الضّرّ، الحيّ الدّائم الحياة الّتي لا أوّل ولا نهاية لها، القائم على خلقه بالتّدبير والتّصريف[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡحَيُّ﴾: الحياة تُستعمل على أوجه، الأوّل: للقوّة النّامية الموجودة في النّبات والحيوان، الثّانية: للقوّة الحسّاسة، وبه سمّي الحيوان حيوانًا، الثّالثة: للقوّة العاملة العاقلة، الرّابعة: ارتفاع الغمّ، الخامسة: الحياة الأُخرويّة الأبديّة، السّادسة: الحياة الّتي يُوصف بها البارئ سبحانه، فإنّه إذا قيل فيه تعالى: هو حيٌّ، فمعناه: لا يصحُّ عليه الموت، والمراد بالحيّ: الدّائم البقاء[3]، وإذا وصف الباري ﷻ بالحياة؛ فمعناه الدّائم الّذي لم يزل، ولا يزال، ولا يصحُّ عليه الموت بوجه[4]، "الْحَيُّ: فَهُوَ الْفَعَّالُ الدَّرَّاكُ"[5]، والمعنى: "الله تعالى هو الإله الحقّ المتفرّد بالألوهيّة الّتي لا يشاركه فيها سواه، وهو المعبود الحقّ، وكلّ معبود سواه فهو باطل، وهو ذو الحياة الكاملة"[6].

2) ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: "الْقَيُّومُ: فيعول من قام: وهو القائم بالقسط، والقائم على كلِّ نفس بما

(1) الزّحيلّي، التّفسير المنير: 3/146.
(2) الزّحيلّي، التّفسير المنير: 3/146.
(3) الواحدي، التّفسير البسيط: 4/346 - 347.
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/523.
(5) الرّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/130.
(6) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/19.

كسبت"[1]، "القائمُ بتَدْبير جميع ما خَلَقَ من إحياءٍ وإنشاءٍ ورَزْقٍ ومَوْتٍ"[2]، "الْقَائِمُ بِذَاتِهِ، وَالْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ وَالْمَصَالِحِ لِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَعَاشِهِمْ، مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالرِّيَاحِ وَالْأَمْطَارِ وَالنِّعَمِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا سِوَاهُ، وَلَا يُحْصِيهَا غَيْرُهُ"[3]، "من قام بالأمر، يقوم به؛ إذا اضطلع بحفظه، وبجميع ما يحتاج إليه في وجوده، فالله تعالى القوَّام على كلِّ شيء بما ينبغي له أو فيه أو عليه"[4]،

وقال قتادة: القيوم: القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم.. وقال أبو عبيدة: القيّوم: القائم على الأشياء. قال الشّاعر:

إِنَّ ذَا الْعَرْشِ لَلَّذِي يَرْزُقُ النَّا ***سَ، وَحَيٌّ عَلَيْهِمُ قَيُّومُ[5]

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تأكيد قيّوميّة الله وعظمته في كونه وألوهيّته

"اللّه الَّذي لا إله يُعبد بحقٍّ إلّا هو، وحده دون سواه، الحيُّ حياة كاملة، لا موت فيها ولا نقص، القيُّوم الّذي قام بنفسه، فاستغنى عن جميع خلقه، وبه قامت جميع المخلوقات، فلا تستغني عنه في كلِّ أحوالها"[6]، فأخبر أنّه تعالى لا معبود بحقّ إلّا هو، وذكر برهان استحقاقه للعبادة دون غيره، وهو كونه تعالى حيًّا أزلًا وأبدًا، وكلّ حيّ غيره مسبوق بالعدم، ويلحقه الفناء. فلذا لا يستحقّ الألوهيّة إلّا هو[7] ﷻ.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

جمالُ البَدْءِ باسم الله الأحسنِ وبوَصْفَيْه الحيِّ القيّومِ:

بدأت الآية بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾، وهو جامع لكلِّ ما في أسماء اللّه الحسنى من الكمالات المُطلقة في بقيَّة الأسماء، وجيء بصفتي

(1) نجم الدّين النّيسابوريُّ، إيجاز البيان: 1/179.
(2) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/374.
(3) الرَّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/130.
(4) ابن عطيَّة، المحرّر الوجيز: 1/397.
(5) الأنباريّ، الزّاهر: 1/90.
(6) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن: 1/50، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر: 1/50.
(7) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 1/283.

الحيِّ القيُّوم من باب ذكرِ الخاصِّ بعد العامِّ؛ لمزيد العناية بهذا الخاصِّ، وللإشارة إلى أنَّ له في هذه السورة مقامًا مقصودًا، هو التَّأكيد على معنى الوحدانيَّة، وللردِّ على مزاعم النَّصارى في شأن عيسى عليه السلام من الألوهيَّة والبنوَّة ودعوى التثليث؛ لأنَّه بشرٌ ومكتوب عليه الموت، وممَّا يؤكِّد ذلك، ما قاله الرَّازيُّ في تفسير معنى الحيِّ القيُّوم، قال: "هو محيط بجميع الصِّفات المعتبرة في الإلهيَّة، ولمَّا ثبت أنَّ المعبود يجب أن يكون حيًّا قيُّومًا - ودلَّت البديهة على أنَّ عيسى عليه السلام ما كان حيًّا قيُّومًا، كيف، وهم يقولون: بأنَّه قُتل، وأظهر الجزع من الموت؟ - علمنا قطعًا أنَّ عيسى ما كان إلهًا ولا ولدًا للإله، تعالى الله عما يقولون عُلوًّا كبيرًا[1].

الإشارةُ إلى ما في هذين الوَصْفَيْنِ من الـرَّدِّ على دعوى التَّثليثِ

سِرُّ الإخْبارِ بالمُسْنَدِ الفِعْليِّ:

لفظُ الجلالة مسندٌ إليه، وابْتُدِئَ الْكَلَامُ به، وجاءَ الخبرُ مسندًا فعليًّا وهو ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾؛ "لِإِفَادَةِ تَقْوِيَةِ الْخَبَرِ اهْتِمَامًا بِهِ، وَجِيءَ بِالِاسْمِ الْعَلَمِ؛ لِتَرْبِيَةِ الْمَهَابَةِ عِنْدَ سَمَاعِهِ"[2]، فالذي نزَّلَ الكتابَ هو اللَّه تعالى، المتَّصفُ بأنَّه حيٌّ قيُّومٌ، فإنزالُ الكتابِ ملحوظٌ فيه معنى هذين الوَصْفَيْنِ، والكتابُ به تكونُ الحياةُ والقوامةُ.

القـرآنُ سرُّ الحياةِ إذ بِهِ حياةُ القُلُوبِ والقوامةُ على الخَلْقِ

توجيه المتشابه اللفظيِّ:

ذُكرت هذه الجملة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ في صدر سورة آل عمران، وفي صدرِ آيةِ الكرسيِّ، وهناك فرقٌ بين الموضعين؛ ففي سورة البقرة جاءت في سياق الإخبار العامِّ عن صفات المولى سبحانه وتعالى في إثبات صفات الكمال والجمال والجلال، فآية الكرسيِّ هي الآيةُ التي قرّرتْ أصولَ التَّوحيدِ، أمَّا هنا؛ فجاءت في سياق الحِجاج مع النَّصارى، وللرَّدِّ عليهم فيما ادَّعوه من صفاتٍ لا

جملةُ التَّوحيدِ جاءتْ لتقريرِ العقيدةِ ابتداءً في آيةِ الكرسيِّ وردًّا في آل عمران

(1) الرَّازيُّ، مفاتيح الغيب: 7/130.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/147.

تثبتُ لعيسى عليه السلام ؛ لأنَّهم إذ يقولون: إنَّه صُلب، فذلك موت في معتقدهم لا محالة؛ إذ من البيِّن أنَّه ليس بقيُّوم[1]، فهو ليس حيًّا ولا قيُّومًا، فثبت أنَّه ليس بإلهٍ، وأنَّ معتقدَهم في نبيِّ الله معتقدٌ باطلٌ، تنزَّه الله عمَّا يقولون عُلُوًّا كبيرًا.

(1) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 1/397.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»